ورقة نقاش (٤)

إصلاح الجيش العربي السوري: رؤية روسية

يوري بارمين

باحث، المجلس الروسي للشؤون الدولية

ورقة مناقشة لورشة عمل عن: ''الديناميات الأمنية الناشئة والتسوية السياسية في سوريا''، سيراكيوز في إيطاليا، ١٨–١٩ أكتوبر ٢٠١٨.

مركز جنيف للسياسات الأمنية (GCSP)

مؤسسة دولية تأسست عام ١٩٩٥ بعضوية ٥١ دولة ، هدفها الرئيس تعزيز السلام والأمن والتعاون الدولي من خلال برامج تعليم المهارات التنفيذية، والحوار وبحوث السياسات التطبيقية. ويدرِّب مركز جنيف للسياسات الأمنية المسئولين في الحكومة، والدبلوماسيين، والضباط العسكريين، وموظفي الخدمة المدنية الدولية، وموظفي المنظمات غير الحكومية والقطاع الخاص في مجالات الأمن والسلام الدوليين ذات الصلة.

مركز عمران للدراسات الاستراتيجية

مؤسسة بحثية وسياسات هدفها تقديم فهم موضوعي لسوريا والمنطقة؛ سعيًا لأن تصبح مرجعًا للسياسات العامة التي تؤثر على المنطقة. بدأ المركز في نوفمبر عام ٢٠١٣ في إسطنبول بتركيا. وأصدر دراسات وموجز سياسات تتعلق بالشئون السورية والإقليمية من حيث السياسات، والتنمية الاقتصادية، والإدارة المحلية. كما يدير المركز مناقشات المائدة المستديرة، وحلقات دراسية، وورش عمل تعزز ثقافة صنع قرار أكثر انتظامًا ومنهجية بين قادة المستقبل في سوريا. وتدعم أعمال المركز آليات صنع القرار، وتقدم حلولاً عملية وتوصيات سياسة لصنَّاع القرار، وتكشف التحديات في سياق الوضع السوري، وكذلك تتوقع سيناريوهات وحلولاً بديلة.

يوري بارمين

مدير قسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بشركة MPG المتخصصة في الاستشارات السياسية ومقرها موسكو. يعمل بارمين أيضًا زميلاً للمجلس الروسي للشؤون الدولية ويغطي شؤون الشرق الأوسط وشرق أفريقيا، وسياسات موسكو تجاه المنطقة، وكذلك الصراع في سوريا. يعمل السيد بارمين أيضًا، إلى جانب سوريا، على الملف الليبي. وعمل سابقًا بدول الخليج العربي حيث قدم مشورات للحكومات وللأفراد.

أفادت الورشة وهذه الورقة من الدعم الكريم الذي قدمته مؤسستا كارنيغي وروبرت بوش شتيفتونغ. ولا تعكس الآراء الموجودة في هذه الورقة سوى آراء كاتبها.

نشرت في مارس ٢٠١٩

كل الحقوق محفوظة لمركز جنيف للسياسات الأمنية ومركز عمران للدراسات الاستراتيجية

مقدمة

خلال انخراطها في الصراع في سوريا، كانت روسيا الضامن الرئيس لبقاء الجيش السوري كقوة قتالية نشطة وككتلة صلبة لبناء الدولة. فيما استثمرت موسكو الكثير من الوقت والجهد لجعل الجيش العربي السوري مؤسسة قوية، إلا أنه من الضروري إطلاق عملية إصلاح عميقة للجيش العربي السوري بمجرد أن تنتهي الحرب. إن الدور الروسي في عملية الإصلاح هذه متوقع؛ ليس فقط بسبب انخراط موسكو النشط في الحرب السورية ووقوفها إلى جانب الجيش، ولكن أيضًا بسبب العلاقات الوثيقة التي وجدت بين البلدين خلال الحرب الباردة. لقد أصبح الاتحاد السوفييتي راعيًا سياسيًا وعسكريًا لسوريا في العام ١٩٥٥، وقد شُكل الجيش السوري بالأساس على غرار الجيش الأحمر. وتمدد الدور الروسي في سوريا لا ليشمل فقط تعليمات استخدام الأسلحة سوفياتية الصنع، بل أيضًا تضن التدريب على التخطيط والتكتيكات والعمليات.[i]

على الرغم من هذا، ليس من الواضح مدى استعداد روسيا لقيادة عملية الإصلاح. ومع ذلك، فقد دأبت على القيام بمحاولات لزيادة القدرات المؤسسية والقتالية للجيش السوري. تدرك موسكو أنه فيما تعتمد إيران في الغالب على المليشيات في الداخل السوري، فإن الحكومة في دمشق لن تكون قادرة على بناء جيش قادر تابع لها. كذلك يعتمد مدى التغيير الحقيقي الذي قد تقوم به روسيا على عزمها تفعيل الإصلاح السياسي في سوريا.

التغلب على نقاط عدم التوازن داخل الجيش

تميزت بنية الجيش السوري قبل الحرب بعدم التماثل البنيوي الذي جاء من عقود من الإعداد لمواجهات كبرى على البر، يكون فيها الخصم الأكثر رجحانًا هو إسرائيل. مع بداية الصراع السوري في ٢٠١١، كان لدى الجيش أسطول ضخم من الدبابات ومركبات مقاتلة قديمة الطراز في أغلبها وغير ملائمة لحرب المدن. أدى جمود الجيش السوري وجاهزيته الضعيفة للحرب التي اندلعت في ٢٠١١ إلى خسائر مادية وإنسانية فادحة. كان عدم التوازن واضحًا أيضًا في الصراع مع تنظيم الدولة الإسلامية عندما استخدم التنظيم وحدات قوامها مركبات خفيفة لاستعادة مدينة تدمر في ٢٠١٦، وهو ما أدى إلى انهيار الدفاعات السورية. وبناء على هذه الخبرة، حسنت روسيا من قدرات المشاة المميكنة داخل الجيش السوري، وهو ما يعالج تحديات قتال العدو سريع الحركة في وضعية صحراوية على نحو أفضل.[ii]

قبل الحرب، كان الجزء الأكبر من القوات المسلحة منتشرًا في جنوب ووسط سوريا، فيما كانت تتطلب التهديدات المتواجدة في شمال وشرقي البلاد الإبقاء على جاهزية القوات المقاتلة الكبيرة في تلك المناطق. إن الحد الأدنى بالنسبة لروسيا هو أن مستقبل الجيش السوري ينبغي أن يكون أكثر حركية وقادرًا على القتال في جبهات متعددة. لتسهيل هذه المهمة، سوف تحتاج روسيا أن تراجع سياسة تخندق فرق الجيش وقيادتها في مناطق جغرافية معينة وأن تفعل سياسة التناوب لسلك الضباط.

كذلك أصبح عدم التماثل الهوياتي أحد عوامل زعزعة الاستقرار، وهو ما ساهم في تفاقم الاستياء داخل صف الضباط. قبل الحرب، جاءت الأغلبية من جنود الجيش السوري من المناطق الريفية السنية (حتى اليوم، فإن ما بين ٦٠٪ و٦٥٪ من الجنود هم من السنة[iii]). لكن هذه الحقيقة قد يعطي انطباعًا خادعًا بأن الجيش متنوع، حيث أن ٩٠٪ من اللواءات هم علويون تم انتقائهم بعناية، وغالبًا ما تربطهم صلات شخصية بالرئيس.[iv]

سوف يتطلب حل مشكلة السيطرة العلوية على المناصب الرئيسة في الجيش إصلاح نظام الترقيات إلى الرتب الأعلى بمجرد أن يجند أي سوري داخل الجيش أو يلتحق بالأكاديمية العسكرية، والقضاء على الفساد والمحسوبية من الجيش، وكذلك ابتكار نظام واضح وشفاف للرواتب. لتقليل استياء الجماعات المهمشة داخل الجيش السوري، سيكون على روسيا أن تحل هوية جماعية قوية محل الهوية الطائفية، وهي عملية كان الاتحاد السوفياتي قد قدمها لسوريا، لكن الحقائق السياسية والطائفية في الواقع السوري قد أحبطتها.

إعادة تأهيل القدرات المؤسسية للجيش

عندما اندلعت الحرب، كان الجيش السوري مؤسسة مختلة في جوهرها وغارقة في الفساد والمحسوبية؛ حيث كانت غاية الضباط الأساسية هو الحصول على مكاسب شخصية. وبمرور الوقت مع استمرار الصراع، تدهورت القدرات المؤسسية للجيش بالاعتماد على تشكيلات احتياطية والمقاتلين الأجانب. للتعويض عن النقص في القوات العاملة من ٣٢٥,٠٠٠ في ٢٠١١ إلى حوالي ١٥٠,٠٠٠ في ٢٠١٤[v]، عمدت الحكومة السورية إلى السماح لنطاق عريق من المليشيات والقوات غير النظامية التي يدعمها رجال أعمال محليون وقوى أجنبية على رأسها إيران.

منذ بداية حملتها العسكرية في سوريا، أعطت روسيا الأولوية للعمل مع الجيش السوري عل الرغم من ضعفه على مستوى العمليات وعدم كفاءته على مستوى التكتيكات. على النقيض من طريقة عمل إيران في ميدان المعركة من خلال المليشيات التي أسست لنفسها تسلسل قيادي موازي، ألحقت القوات الروسية نفسها بمؤسسات الجيش السوري القائمة. وفقًا لقائد الأركان الروسية العامة، الجنرال فاليري غاراسيموف، فإن المستشارين ومتخصصي المدفعية والمخابرات الروس، وكذلك المهندسين العسكريين قد التحقوا تقريبًا بكل وحدات الجيش السوري[vi]، حيث ساعدوا على رفع قدراته وعملوا على إنقاذه كمؤسسة. يقول الإعلان الأخير للمؤتمر السوري في سوتشي، "ينبغي أن يكون استخدام القوة حقًا حصريًا لمؤسسات الدولة ذات الجدارة.[vii]" يعكس هذا أيضًا منهج روسيا في إعادة مأسسة الجيش السوري وتقليص دور سلاسل القيادة الموازية في الحفاظ على أمن الدولة.

إن محاولات روسيا لزيادة قدرات الجيش السوري تتضح بجهودها لموازنة تأثير المليشيات من خلال الكتيبتين الهجوميتين الرابعة والخامسة التي ينتمي مقاتلوها رسميًا إلى الجيش. فيما ينتمي مقاتلو الكتيبة الرابعة إلى قوات الدفاع الوطني (NDF) (وهي محاولة روسيا الأولى لدمج القوات غير النظامية داخل الجيش)، وقد تمركزت في اللاذقية. كما جندت الكتيبة الخامسة المتمردين الذين حصلوا على عفو سياسي، وكذلك المنشفين المعفى عنهم، والذين قاتلوا في مناطق مختلفة عبر سوريا.

أحد التشكيلات الأخرى التي أفادت من الدعم الجوي واللوجيستي الذي قدمته روسيا هي قوات النمر التي يقودها العميد سهيل الحسن، وتنتمي في الأَصل إلى المخابرات الجوية.[viii] ألحق الضباط الروس بقوات النمر ودربوها على استخدام الأسلحة الروسية المتطورة. في عملية استعادة شرق الغوطة، ذهبت روسيا بعيدًا بإزاحة الحرس الجمهوري والفرقة الرابعة المدرعة، حيث منحت الأولوية لقوات النمر.[ix] من المرجح أن شخصيات من محيط سهيل الحسن ستصعد لتصبح النخبة الجديدة للجيش السوري كنتيجة للحرب من وجهة نظر روسية. يرى بعض المحللين أن الحسن يعد حاليا كي يقود الجيش وإصلاحه في مرحلة ما بعد الحرب.[x]

منع تحول الجيش السوري إلى مليشيات

لن يكون من السهل معالجة العسكرة داخل قطاع الأمن السوري، إذ أنه كان جزءًا من استراتيجية البقاء التي حاكتها الحكومة السورية، وجزء من نسيج قطاع الأمن. لقد عوضت قوات الدفاع الوطني (NDF)ضعف الجيش السوري، وحمت الرئيس من انقلاب محتمل يقوده الجيش. وفيما يقلق التأثير الإيراني داخل قطاع الأمن السوري روسيا، فإن حل وإعادة دمج الميليشيات التي تمثل قوات مقاتلة كبيرة الحجم سيكون عملية طويلة المدى، وهو ما يعني على الأرجح عدم تسريح قوات الدفاع الوطني كليًّا.

أصبحت نوايا روسيا بالحفاظ على بنية الجيش، في الوقت الذي تسعى فيه تدريجيًّا لحل قوات الدفاع الوطني (NDF)، واضحة في فترة مبكرة من بدء العمليات العسكرية الروسية في سوريا. لقد دعمت الحكومة السورية بوضوح تشكيل الكتيبة الرابعة، والتي كانت قد فقدت أهميتها،[xi] وذلك على أمل أن يمنع التدخل الروسي تقدم المليشيات على القوات السورية التقليدية. تشير بعض مصادر المعارضة إلى أن الحكومة السورية كانت تدفع بقوة نحو دمج قوات الدفاع الوطني داخل الجيش مع بدء الحملة العسكرية الروسية في البلاد.[xii]

على الرغم من هذا، كان التوقع بأن روسيا سوف تصر على الحل الفوري لقوات الدفاع الوطني خاطئًا. لقد أفادت العمليات الروسية في سوريا كثيرًا من وجود تنظيمات عسكرية موازية ملئت الفراغ الذي أحدثه الجيش السوري. ولأن المخاطر الأمنية على الحكومة السورية لا زال قائمة، فليس من المرجح أن تقوم روسيا بتحدي دور المليشيات المحلية.

من أجل سوف تكون عملية إدماج المليشيات المحلية في الجيش تدريجية وانتقائية. من وجهة النظر الروسية، فإن الإدماج الكلي للقوات غير النظامية، التي ينظر إليها على أنها قوات تابعة لإيران، داخل الجيش السوري قد تكون ضرورية في جنوب غرب البلاد حيث لا زالت احتمالية الصدام بين إيران وإسرائيل مرتفعة على الرغم من انسحاب الميلشيات الأجنبية الشيعية من هذه المنطقة.

بينما في مناطق أخرى، قد تصر روسيا على عمليات نزع السلاح والتسريح وإعادة الإدماج (DDR) للمليشيات وانتقالها إلى قوات احتياطية. كذلك، سيكون من الضروري التعامل مع قضية قوات حماية الشعب (YPG). بيد أن دور المليشيات الكردية في القوات المسلحة السورية سيعتمد على بنود تسوية المسألة الكردية في سوريا. إن انخراط هذه المليشيات في الجيش، وفي قوات الأمن في المناطق الكردية سيكون أحد سبل التغلب على حالة التهميش التي عانى منها الأكراد السوريون قبل الحرب.

ولتجنب انتكاسة الأمنية، فإن نزع سلاح المليشيات يمكن أن يحدث فقط على خلفية وجود جيش نظامي قوي. ليس نزع السلاح عن المليشيات بظاهرة جديدة في سوريا، فقد وقعت سابقًا عندما نزع حافظ الأسد القوات شبة العسكرية التابعة لحزب البعث (الجيش الشعبي) في أعقاب احتجاجات الإخوان المسلمين في الثمانينيات، وأبقى عليهم كقوات احتياطية حتى جاء بشار الأسد إلى السلطة وسرحهم.[xiii] قد يدعم الرئيس الأسد استراتيجية نزع سلاح المليشيات، إذ أن مراكز السلطة المحلية التي ظهرت خلال الحرب في سوريا قد تهدد سلطته على المدى الطويل.

يرجع فشل الجيش السوري في بداية الحرب في جزء منه إلى فشله في استدعاء قوات الاحتياط التي ظهرت بمئات الآلاف عندما بدأ استدعاؤها في ٢٠١٢، وإن ظلت في معظمها على الورق ولم يكن لديها نية للانضمام إلى الجيش.[xiv] في سعيها لبناء مؤسسة عسكرية فعالة في سوريا، سيكون على روسيا أن تكون جادة في تدريب قوات الاحتياط كي تجعل منهم قوات قتالية فعالة قادرة على الانضمام للجيش السوري، وكذلك كي توازن النفوذ الإيراني المذهبي الذي قد يظل مؤثرًا على مقاتلي المليشيات المسرحة.

[i] Michael Eisenstadt and Kenneth M. Pollack, Armies of Snow and Armies of Sand: The Impact of Soviet Military Doctrine on Arab Militaries, Middle East Journal, Vol. 55, No. 4 (Autumn, 2001), pp. 549-578

[ii] Lessons of Syria: Russia Creates Super Light Motorized Infantry, South Front, August 9, 2017, https://southfront.org/lessons-of-syria-russia-creates-super-light-motorized-infantry/

[iii] Chris Zambelis, Syria's Sunnis and the Regime's Resilience, Combating Terrorism Center, May 2015, Volume 8, Issue 5, https://ctc.usma.edu/syrias-sunnis-and-the-regimes-resilience/

[iv] Florence Gaub, The Syrian Military: The Day After, ETH Zurich, Center for Security Studies, May 3, 2017, http://www.css.ethz.ch/en/services/digital-library/articles/article.html/9fc28602-3d64-4a41-8568-dfc28d632dc3/pdf

[v] Battered but Hardened, Syria Army Adapts to Guerrilla War, Naharnet, October 21, 2014, http://www.naharnet.com/stories/en/152046-battered-but-hardened-syria-army-adapts-to-guerrilla-war

[vi] Russian military advisors work with all Syrian army units — Russian General Staff, TASS, December 27, 2017, http://tass.com/world/983232

[vii] Final statement of the Congress of the Syrian national dialogue, Sochi, January 30, 2018, http://www.mid.ru/en_GB/maps/sy/-/asset_publisher/9fcjSOwMERcf/content/id/3046246

[viii] Gregory Waters, The Tiger Forces, Pro-Assad Fighters Backed by Russia, Middle East Institute, October 2018, Policy Paper 2018-10, https://www.mei.edu/sites/default/files/2018-11/TigerForces.pdf

[ix] Ibid

[x]Can Kasapoğlu, Syria's 'Shogun' In the Making: Russian-Backed General Suheil Al-Hassan And Future of The Syrian Arab Armed Forces, EDAM, Foreign Policy & Security 2018/11, http://edam.org.tr/wp-content/uploads/2018/11/CAN_Tiger-Forces-Russia-Syria-report.pdf

[xi] General Ayoub: Syrian armed forces launched a wide-scale offensive today to eliminate terrorist gatherings – video, SANA, October 8, 2015, https://www.sana.sy/?p=280623

[xii] Russian intervention hastens the dismantling of the "Defense Forces" close to Iran ... and freezes the truce in Zabadani, Al Hayat, October 10, 2015, http://www.alhayat.com/article/698680/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AF%D8%AE%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A-%D9%8A%D8%B9%D8%AC%D9%84-%D9%81%D9%8A-%D8%AA%D9%81%D9%83%D9%8A%D9%83-%D9%82%D9%88%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D9%8A%D8%A8%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D9%88%D9%8A%D8%AC%D9%85%D8%AF-%D9%87%D8%AF%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D9%86%D9%8A

[xiii] Syria: Pro-Government Paramilitary Forces, The Carter Center, November 5, 2013, https://www.cartercenter.org/resources/pdfs/peace/conflict_resolution/syria-conflict/pro-governmentparamilitaryforces.pdf

[xiv] Lucas Winter, Manpower Gaps in the Syrian Army, The Foreign Military Studies Office, October 16, 2016